التناص المعجمي في بعض تخميسات بردة البوصيري

د. يعقوب أرمياء
جامعة بايرو كنو نيجيريا

This article titled "Lexical intertextuality in some epigrams of Burdatul Busiry" examines some selected epigrams of "Burda" by identifying eight different lexis categories in which the writers of the epigrams try to intertext with the original text (Burda), some of the most dominant lexis exploited by the two writers were: lexis connected to Nature, individuals, human parts, animals, classic words and Islamic registered words. The research uses the intertextuality criticism approach to attain this aim as well as descriptive methods to achieve the objectives. some of the major findings of the research, after analyzing the statistical data gathered are as follow: i. There are some dissimilarities between the original texts and the second in exploiting lexis connected to the nature, and this expresses an environmental variation between the two writers ii. Closed similarities were detected between the two writers in exploiting some lexis connected to human parts, and this expresses that the two writers are indebted to classical Arabic poets as its expresses their loyalty to Sufism belief in which the human being is their main concern.

التوطئة:

يمثّل المعجم الشعري المرشد المثالي لتحديد هوية النص إذ أن لكل خطاب معجمه الخاص به، فللشعر الصوفي معجمه وكذلك المدحي والخمري، ولذلك صار المعجم وسيلة للتمييز بين أنواع الخطاب وبين لغات الشعراء والعصور. ولما كانت الكلمات المادة الأولى التي كان الشعراء المخمّسون يغترفون منها، ويبنون قصائدهم عليها فإن ملاحظة وإحصاء تردد بعض الكلمات المشتركة في النصَّين ستساعد في رصد اهتمامات الشعراء المخمّسين للنسج على منوال الشاعر الأصلي، كما سيساعد في تجسيد وحدة التصور بين الشاعرين – الأصلي والمخمسين- لأن تشابه اللغة وتماثلها يدلان على تشابه الخيال وتماثله.

يهدف المقال إلى استبطان نواح ثقافية لثلاثة من الشعراء الذين خمسوا قصيدة البردة، وذلك من خلال الوقوف عند محاولاتهم للنسج على منوال قصيدة البردة، ولما كان لكل نص معجمه الخاص الذي يميزه عن سواه أردنا الوصول إلى ما نهدف إليه من خلال المعجم الشعري للنصَّين (البردة) و (تخميساتها المختارة)، وتكمن أهمية المقال في محاولة الوصول إلى الفروق الفردية والخصوصية الإبداعية للشعراء المخمِّسين من ناحية، وللشاعر الأصلي من ناحية أخرى.

وكانت نماذجنا ثلاث تخميسات لشعراء مختلفين كلهم من شمال نيجيريا، أما التخميس الأول فهو للشيخ محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي[1]، أنشأ التخميس خلال القرن الثامن عشر الميلادي في مدينة صكتو بشمال نيجيريا، قام بتحقيق مخطوط التخميس الدكتور شعيب علي دِكُّو[2]، معتمدا فيه على ثلاث نسخ، النسخة الأولى حصل عليها من مكتبة قسم التاريخ جناح المخطوطات بجامعة أحمد بلُّو زاريا، وهي النسخة الأصلية عنده إذ رمز لها بـ(ن أ)، أما النسخة الثانية فقد وجدها الباحث في قسم التاريخ والوثائق (أكاييس Archives) كَدُونَا نيجيريا، فجعلها النسخة الثانية له ورمز لها بـ(ن ث) أي النسخة الثانية، والنسخة الثالثة المصوَّرة تحصَّل عليها في قسم المخطوطات بجامعة بايرو كنو، وتختلف عن النسخة الأولى والثانية من حيث الخط والحجم، فجعل لها رمز (ن ث) أي النسخة الثالثة.

أما التخميس الثاني فكان للشاعر إبراهيم أحمد مقري[3]، أنشأ الشاعر تخميسه المسمَّى "جمع الخردة من قصيدة البردة" في السابع من ذي القعدة عام 1418م الموافق بشهر مارس عام 1998م، وهذا يتواطأ مع الفترة الأخيرة لدراسته الجامعية في

الأزهر الشريف. تمَّت طباعة ونشر التخميس مستقلا في ديوان خاص، كما تمت مراجعته ونشره مرة ثانية ضمن الأعمال الكاملة للشاعر تحت عنوان "خلاصة العشرينيات" عام2012م

أما التخميس الأخير فكان للشاعر كبير عثمان إمام[4] سمى التخميس (فوح الوردة في تخميس البردة)، لم يشر الشاعر كبير عثمان إلى تاريخ إنشاء التخميس، وإنما اكتفى بالإشارة إلى تاريخ الفراغ من التخميس وهو(الليلة السادسة عشر من رمضان 1435هـ الموافق 14 من يوليو 2013م)، وهذا التاريخ يتواطأ مع السنة الأخيرة من دراسة الشاعر الجامعية بالأزهر، حيث تخرَّج فيها عام 2014م، ويُفهم من هذا أنه أنشأ التخميس خارج نيجيريا، فتجربة التخميس لديه تشابهت تجربة التخميس عند الشيخ إبراهيم أحمد مقري، فكلاهما أزهري وفي خلال دراسته في الأزهر أنشاء تخميس البردة. تمَّت طباعة تخميس (فوح الوردة في تخميس البردة) بآلة الحاسوب في ورق بمقاس A4 تشتمل كل صفحة منه إما على أربعة أو خمسة أبيات مخمسة، ومجموع صفحات القصيدة تبلغ ثلاثاً وثلاثين صفحة(33)، أما مجموع أبيات التخميس فتبلغ مائة وستين(160) بيتاً مخمَّساً.

أما المعجم فعبارة عن قائمة من الكلمات التي تتردد بنُسَبٍ مختلفة أثناء نصٍّ معيّن، وكلّما ترددت بعض الكلمات بنفسها أو بمرادفها أو بتركيب يؤدي معناها كوَّنت حقلاً أو حقولاً دلالية.[5]

إن المتأمِّل لقصيدة البردة التخميسات المختارة حين يقرأ النصّين قراءة واعية يتبين له أن هناك ألفاظاً أو كلمات وردت لدى الشاعر الأصلي – البوصيري – وتداولها الشعراء المخمِّسون معجبين بها، محاكين لها، لأسباب فنية وتعبيرية ولعل من أهمها محاولة الشعراء المخمسين للانضواء حول الفكرة الرئيسة التي تناولها الشاعر الأصلي، فكانوا يتعمّدون التقارب فيها، والتناص معها.

وعلى الرغم من اختلاف بيئة البوصيري عن بيئة الشعراء المخمِّسين من ناحية واختلاف ثقافات الشعراء المخمِّسين أنفسهم من طرف آخر، فإن النص الأصلي (البردة) ظلَّ نموذجاً رفيعاً ماثلا أمام هؤلاء الشعراء يريدون النسج على منواله بطريق أو بآخر.

حقول التناص المعجمي بين البردة وتخميساتها المختارة:

في محاولة المقال لتحديد نواحي التناص المعجمي بين النصين؛ الأصلي والتخميسات استطاع تحديد ثمانية معاجم تكثَّفت تردُّداتها في النصَّين، وقد اعتمد الباحث في تحديد معظم هذه المعاجم على طريقتين هما:

- طريقة العموم والخصوص: فلفظ "النفس" لفظ عام جامع تدخل ضمنه ألفاظ متعددة مثل: القلب، وما في حكمها مثل: الحب والهوى والبكاء والدمع والأرق واللذة والألم وغيرها.

- طريق الترابط المقيَّد أو الحرّ: ففي معجم ألفاظ الطبيعة تبنى الباحث هذه الطريقة، فالبحر مرتبط باللؤلؤ والجواهر والموج ، كما أن المطر مرتبط بالبرق والسحاب والغمامة والريح والماء والديم والعارض والسيل، كما أن النهار مرتبط بالشمس، والليل مرتبط بالظلمة والقمر والكواكب والشهب وغيرها.

ويمكن تلخيص هذه المعاجم في النص الأصلي على النحو التالي:

المعجم	عدد الترددات	نسبة الترددات
معجم ألفاظ الطبيعة	30	%16،85
معجم الأطلال والأعلام	21	%11،80
معجم أعضاء الإنسان وما في حكمها"	30	%16،85
معجم الدواب	16	%8،99
معجم الألفاظ العتيقة (التراثية)	35	%19،66
معجم الألفاظ الدينية (الإسلامية)	20	%11،23

الإيلاع بلفظ "كَأَنَّ"	8	%4،50
الإيلاع بلفظ "سَلْ" وما يُشتقُّ منه	4	%2،24

هذه المعاجم تُعتبر - حسب رأي الباحث- أهمَّ المعاجم التي كوَّنت لحمة نص البردة، وكان لها الأثر الكبير في توجيه أي قراءةٍ لنصها، ولهذا انعكست هذه المعاجم بصور مكثفة في نصوص التخميسات المختارة، وفيما يلي عرض لنواحي تناص التخميسات مع البردة في المعاجم السابقة بإيراد الشواهد من النصين مع الإشارة إلى نواحي التفاعل بينهما بتحديد عدد ترددات الألفاظ في النصوص المخمَّسة ومقارنتها بعدد ترداتها في النص الأصلي.

1- معجم ألفاظ الطبيعة

الطبيعة عبارة عن مجموعة من الظواهر الكونية التي ليس للصناعة البشرية يدٌ في إيجادها، تتسم بالفتنة الجمالية والدقة البالغة المعهودة في صنع الله تعالى الذي أتقن كل شيء خلقه.

فقد مثَّلت الطبيعة ملجأ للشعراء يجدون في عوالمها ما ينفثون فيه آلامهم وآمالهم وأحزانهم، فقد كان في مظاهرها الجمة ما يملك القدرة على معادلة تلك المشاعر المتقلبة، لوجود الساكن منها والمتحرك والهادئ والصاخب والملس والصلب والمتدفق والضحل، وما إلى ذلك مما تفيض النفس الإنسانية بخواصه في أحاسيسها بالموقف والتجارب التي تمر بها.[6]

يُعتبر معجم ألفاظ الطبيعة أهم المعاجم تدلِّيا في قصيدة البردة، فقد تردَّدت فيه ألفاظ مثل: البحر والحوض والمطر والبرق والريح والشمس والكواكب والأشجار والأحجار وغيرها. وكان البحر وما يُلحق به من الموج والنهر واللؤلؤ والجواهر والحوض والبحيرة أشدُّ الألفاظ تجلِّياً في هذا المعجم، وكانت معظم دلالات البحر وما أُلحِق به دلالاتٍ عربية كلاسيكية تدل على الجود والسخاء والكرم.وهذه النتيجة تتفق مع المعروف من حياة البوصيري نفسه، فقد عمل مباشراً يتولَّى زرع ما علاه النيل ويصرف ما يحتاج إليه الزراع من البذور، ويضاف إلى هذا أثر البحر خصوصاً بحر النيل في حياة كل مصري فهو عماد الحياة في مصر. ويلي البحر في التردد داخل معجم الطبيعة في البردة، الكوكبان "الشمس والقمر" وما يُلحق بهما من البرق والشهب والظلام والبدر، ومن وظائف هذه الألفاظ في سياق القصيدة الموازنة بين (النور) و هو "الإسلام الذي بُعثَ به محمد صلى الله عليه وسلم، وبين (الظلمة) التي هي الكفر أو الباطل الذي حاربه الإسلام.

وقد تجلَّت ألفاظ الطبيعة من خلال إلحاحها الشديد في حوالي ثلاثة وعشرين بيتاً في مواضع متفرقة من قصيدة البردة على النحو التالي:

2- أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ وَأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ

29- ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى أَنْ اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ

30- وَشَدَّ مِنْ سَغَبٍ أَحْشَاءَهُ وَطَوَى تَحْتَ الحِجَارَةِ كَشْحًا مُتْرَفَ الأَدَمِ

31- وَرَاوَدَتْهُ الجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ

39- وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ غَرْفًا مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيَمِ

49- كَالشَّمْسِ تَظْهَرُ لِلْعَيْنَيْنِ مِنْ بُعْدٍ صَغِيرَةً، وَتَكِلُّ الطَّرْفَ مِنْ أَمَمِ

53- فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

55- كَالزَّهْرِ فِي تَرَفٍ وَالبَدْرِ فِي شَرَفٍ وَالبَحْرِ فِي كَرَمٍ وَالدَّهْرِ فِي هِمَمِ

62- وَالنَّارُ خَامِدَةُ الأَنْفَاسِ مِنْ أَسَفٍ عَلَيْهِ وَالنَّهْرُ سَاهِي العَيْنِ مِنْ سَدَمِ

63- وَسَاءَ سَاوَةَ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالغَيْظِ حِينَ ظُمِي

66- عَمُوا وَصَمُّوا فَإِعْلَانُ البَشَائِرِ لَمْ يُسْمَعْ وَبَارِقَةُ الإِنْذَارِ لَمْ تُشَمِ
68- وَبَعْدَ مَا عَايَنُوا فِي الأُفْقِ مِنْ شُهُبٍ مُنْقَضَّةٍ وِفْقَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ صَنَمِ
72- جَاءَتْ لِدَعْوَتِهِ الأَشْجَارُ سَاجِدَةً تَمْشِي إِلَيْهِ عَلَى سَاقٍ بِلَا قَدَمِ
74- مِثْلُ الغَمَامَةِ أَنَّى سَارَ سَائِرَةٌ تَقِيهِ حَرَّ وَطِيسٍ بِالهَجِيرِ حَمِي
75- أَقْسَمْتُ بِالقَمَرِ المُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةٌ مَبْرُورَةٌ القَسَمِ
87- بِعَارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْتَ البِطَاحَ بِهَا سَيْبٌ مِنَ اليَمِّ أَوْ سَيْلٌ مِنَ العَرِمِ
97- لَهَا مَعَانٍ كَمَوْجِ البَحْرِ فِي مَدَدٍ وَفَوقَ جَوْهَرِهِ فِي الحُسْنِ وَالقِيَمِ
101- كَأَنَّهَا الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوُجُوهُ بِهِ مِنَ العُصَاةِ وَقَدْ جَاؤُوهُ كَالحُمَمِ
104- قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ الماءِ مِنْ سَقَمِ
123- يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوْقَ سَابِحَةٍ يَرْمِي بِمَوْجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ
127- هُمُ الجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ مَاذَا رَأَى مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ
132- تُهْدِي إِلَيْكَ رِيَاحُ النَّصْرِ نَشْرَهُمُ فَتَحْسَبُ الزَّهْرَ فِي الأَكْمَامِ كُلَّ كَمِي
159- وَأْذَنْ لِسُحْبِ صَلَاةٍ مِنْكَ دَائِمَةٍ عَلَى النَّبِيِّ بِمُنْهَلٍّ وَمُنْسَجِمِ

ولأهمية هذا المعجم في توجيه قراءة قصيدة البردة فقد تجلّى تناص التخميسات المختارة مع القصيدة داخل هذا المعجم وإن كان التناص قد تجلّى في التخميسات بنسب متفاوتة، وبالتالي يمكن تسجيل نواحي تناص التخميسات مع البردة داخل معجم ألفاظ الطبيعة من خلال الإحصائية التالية:

ألفاظ المعجم	محمد بلو	مقري	كبير بوتشي
البحر وما في حكمه	3	8	-
السماء وما في حكمها	15	11	13
الأرض وما في حكمها	-	-	-
الليل والنهار وما في حكمهما	3	-	-

ويمكن رصد جملة من الملاحظات من خلال الإحصائية السابقة:

1- يدخل في حكم البحر كل ما يتعلّق به كالموج والنهر واللؤلؤ والجواهر والحوض والبحيرة، ويدخل في حكم السماء، الشمس والقمر والنجوم والسحب والغمامة والمطر، ويُلحق بالأرض الجبال والأشجار وغيرها، أما الليل والنهار فيدخل في حكمهما النور والظلمة.

2- أشدُّ التخميسات انسجاماً وتلاحماً مع النص الأصلي (البردة) داخل معجم ألفاظ الطبيعة هو تخميس أمير المؤمنين محمد بلو حيث بلغ مجموع تردُّدات ألفاظ المعجم احدى وعشرين تردُّداً، بالمقارنة بمجموع ترددها في تخميس إبراهيم أحمد مقري التي بلغت تسعة عشر تردُّداً، أو بالمقارنة بمجموع ترددها عند كبير عثمان بوتشي الذي تردَّدت في تخميسه ثلاثة عشرة تردُّداً.

3- يلاحظ فراغٌ كبير بين النص الأصلي ونصوص التخميسات من حيث تراجع عدد تردُّدات ألفاظ الطبيعة فيها بالمقارنة بالنص الأصلي، فقد رصد الباحث لألفاظ معجم الطبيعة في النص الأصلي (البردة) ثلاثين تردُّدا من خلال أبياتها (المائة وستون)، أما التخميسات الثلاث المختارة بأبياتها التي بلغت ألفاً وأربعمائة وأربعين(1440) فإن مجموع التردد فيها جميعاً لا

يجاوز ثلاثةً وخمسين تردُّداً(53). ويرى الباحث بأن السبب في تراجع ألفاظ الطبيعة في تخميسات الشعراء الثلاث يعود إلى أثر البيئة في الشعراء المخمّسين، فالإنسان كما يُقال: "ابن بيئته" فمظاهر الطبيعة الخلابة قليلة جداً في شمال نيجيريا لا سيما المدن التي ينتمي إليها الشعراء وهي بلاد صكتو و بوتْشِي وزَارِيَا، ومن أجل هذا لجأ الشعراء إلى الظواهر الطبيعية العامة كالشمس والقمر والرياح والليل والنهار، أما البحر فقد خلا منه نص تخميس كبير عثمان بَوتْشِي، وتردَّد ثلاث مرات في تخميس أمير المؤمنين محمد بلو، أما تخميس مقري فقد تردَّد فيه البحر وما في حكمه ثماني مرات، وهي نسبة لا بأس بها.

4- إن دلالة ألفاظ هذا المعجم الواردة في التخميسات لم تخرج بعيداً من دلالاتها في سياق النص الأصلي: فالبحر وما في حكمه تردد غالباً بمعنى السخاء والكرم والجود، أو بمعنى الكثرة والتدفق والترهيب، وقد يرد بدلالته المعجمية حيناً، ومن ترددات بمعنى التدفُّق والترهيب قول محمد بلو حين يصف تدفُّق جيوش الصحابة في طريقهم للغزو حيث يقول:

أَضْحَتْ جُيُوشُهُمْ بَحْراً إِذَا انْدَفَقَا فِي كُلِّ خرقٍ أَمَوا الطُّول قَدْ فَلَقَا
وَكُلِّ صَفٍّ عَدُوِّ الدِّينِ قَدْ حَرَقَا طَارَتْ قُلُوبُ العِدَى مِنْ بَأْسِهِمْ فَرْقَا

فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ وَالبُهَمِ

ويَرد هذا الاستعمال بمعنى الكثرة المفرطة في وصف مقري فضائل الرسول ومناقبه، في قوله:

سَمُّ الخَيَاطِ – وَرَبِّي – كُلُّ مُغْتَرِفٍ مِنْ بَحْرِ أَمْدَاحِهِ يَا مَادِحُ اعْتَرَفِ
فَلْتَتْرُكِ البَحْرَ رَهْواً والْهُ فِي طَرَفٍ وَانْسُبْ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتَ مِنْ شَرَفٍ

وَانْسُبْ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتَ مِنْ كَرَمٍ

عَنْ وَصْفِهِ الشُّعَرَاءُ اللَّسِنُ قَدْ قَصِرُوا فِي بَحْرِهِ السَّادَةُ الأَقْحَاحُ قَدْ ضَجِرُو
لَمْ لاَ وَقَدْ جَاءَنَا فِي مَدْحِهِ السُّوَرُ فَمَبْلَغُ العِلْمِ فِيهِ أَنَّهُ بَشَرُ

وَأَنَّهُ خَيْرُ خَلْقِ اللهِ كُلِّهِمِ

بِبَحْرِهِ كُلُّهُمْ مِنْ نُورِهِ اقْتَبَسُوا مِنْهُ اسْتَمَدُّوا جَمِيعًا مِثْلَمَا انْغَمَسُو
فَكَانَ أَمنَهُمُ مِنْ بَعْدِ مَا يَئِسُوا وَكُلُّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللهِ مُلْتَمِسٌ

غَرْفًا مِنَ البَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدِّيَمِ

تَفِيضُ فَيْضًا فَلَا نَقْصٌ وَلَا شَفَقٌ فَبَحْرُهُ مِثْلُهُ جُوْداً وَهَلْ تَلِق
فَلَا تَخُوضَنَّ وَصْفًا بَحْرُهُ عَمِقٌ أَكْرِمْ بِخَلْقٍ نَبِيٍّ زَانَهُ خُلُقٌ

بِالحُسْنِ مُشْتَمِلٌ بِالبِشْرِ مُتَّسِمُ

ومن شواهد دلالة البحر على معناه المعجمي في التخميسات قول مقري في ذكر معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم:

قَدْ خَرْخَرَ المَاءُ مِنْ أَيْدِي النَّبِي وَسَقَتْ وَالجِذْعُ أنّ اشْتِيَاقًا وَالدَّوَابُ سَعَتْ

لِحِصْنِهِ وَمَلِيحِ البَحْرِ قَدْ عَذُبَتْ دَعْنِي وَوَصْفِيَ آيَاتٍ لَهُ ظَهَرَتْ

ظَهُورَ نَارِ القِرَى لَيْلًا عَلَى عَلَمِ

ومثل هذا قول مقري أيضا في الإشادة بمواقف الصحابة وبطولاتهم رضوان الله عليهم:

لَمْ يَفْتُرُوْا بِالَّذِي نِيطُوا بِهِ أَبَدًا ذَلُّوا المِصَاعِبَ إِنْ بَحْرًا وَإِنْ أَمَدَ

وَالمُشْرِكُونَ تَرَاهُمْ صُيِّرُوا خَضَدَا وَسَلْ حُنَيْنًا وَسَلْ بَدْرًا وَسَلْ أُحُدَ

فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الوَخَمِ

وكانت السماء وما في حكمها من الشمس والقمر والنجوم والسحب والغمامة والغيث والظلمة والنور، من أشدِّ مظاهر الطبيعة في التخميسات المختارة إلحاحاً على التناص مع النص الأصلي، كما في الشواهد التالية من التخميسات، منها ما يقوله محمد بلو في تخميسه:

سموت عن بشرٍ طراً وعن ملكٍ وعن سماء وعن عرشٍ وعن فلكٍ

وجئتنا بصلاة منه مع نسك فحزت كلَّ فخارٍ غير مشتركٍ

جزت كلُّ مقامٍ غير مزدحم

إن النبوَّة تذري الشمس في أُفق بل أي مرتبة للخلق لم تفق

إن النبيئين فاقوا كل مستبق فاق النبيئين في خلقٍ وفي خُلق

ولم يدانوه في علم ولا كرم

أما مقري فيقول:

فهو الذي قد حبا في بابه العظما فيه استعارت صفاتِ الجاهل العلما

وهو النبي الذي فوق السماء سما لو ناسبت قدرَهُ آيته عظما

أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

وفي تخميس كبير عثمان فيقول:

أعظِم بخلقه من قد عاش في كنف من السماء فما أنآه من شظف

فإنه مذ بدا في كل منعطف كالظهر في ترف والبدر في شرف

والبحر في كرم والدهر في همم

والغريب أن لفظ السماء قد خلا تماماً من النص الأصلي (قصيدة البردة) على الرغم من وجود تداعياته من خلال ألفاظ تدخل في حكمه كالقمر والشمس والنجوم وغيرها، فاستدعاء التخميسات لهذا اللفظ قد جاء من خلال تداعيات تلك الألفاظ الملحقة بلفظ "السماء".

أما الكوكبان الشمس والقمر فكانا دائماً مصدرا الإشراق والبياض والنصاعة، فجاء توظيفُهما في التخميسات لوصف معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم وآياته كما في قول أمير المؤمنين محمد بلو:

أتى بآي الهدى للخلق موجزة في ضمنها حكم كالشمس مبرزة
لكل معنى غدت للعلم محرزة كفاك بالعلم في الأمي معجزة

في الجاهلية والتأديب في اليتم

ومثله في تخميس مقري:

يا رب كم لك من آي ومن حكم فالعين تحجب عن لألآءة النجم
والشمس إن صحَّ قولي ما انجلت لعمي وما حوى الغار من خير ومن كرم

وهم يقولون ما بالغار من أرم

أضحت مراتبه كالشمس بارزة كم آية منه قد جاءت مدعَّمة
من جانب سدرة العليا معززة كفاك بالعلم في الأمي معجزة

في الجاهلية والتأديب في اليتم

كم راح يسهر ليلا كي يساجلها قلنا له إن قبض الماء أيسر. ها
كا الشمس فابدأ وقدها من مغاربها ردَّت بلاغتها دعوى معارضها

رد الغيور يد الجاني عن الحرم

وتحمل كلمة (الشمس) الوظيفة نفسها في تخميس كبير عثمان بوتشي إذ يقول:

صلى إماماً لهم في القدس فدرسوا وكلُّهم من ضياء سناه مقتبس
ونور أنجُمهم من شمسه قبس وكلُّهم من رسول الله ملتمس

غرفا من البحر أو رشفاً من الدِّيم

إنَّ ما سبق من توظيف الشعراء المخمِّسين للفظة "الشمس" يعدُّ تمطيطاً لفظيًّا لتوظيفات البوصيري للفظة في الأبيات الثلاثة التالية:

48- كالشمس تظهر للعينين من بعد صغيرة وتكل الطرف من أمم
52- فإنه شمس فضلٍ هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس في الظلم
104- قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

ويجدرُ التنبيه إلى أن اهتمام الباحث فيما سبق منصبٌ على اللفظ فقط من حيث دلالته وإن اضطرَّ ذلك الباحث للنظر في السياق لتحديد تلك الدلالة وانتماء اللفظ إلى معجم معيَّن، أما الاعتبارات الأخرى فستُعالج في مواضعها من المقال.

ومن ألفاظ الطبيعة المستوظفة في التخميسات لفظة (الغيث)، وعلى الرغم من خلوّها من النص الأصلي (البردة) فقد تردَّدت فيه كلمات تُرادفُها مثل: العارض والسيب واليم، أو كلمات ترتبط معها مثل : السحب والغمامة، كما في الأبيات التالية من البردة:

86- بعارض جاد أو خلت البطاح بها سيب من اليم أو سيل من العرم

159- وائذن لسحب صلاة منك دائمة على النبي بمنهل ومنصرم

73- مثل الغمامة أنَّى سار سائرة تقيه حر وطيس بالهجير حمي

أما الشعراء المخمِّسون فقد فضَّلوا استعمال لفظة (الغيث) على كلمات النص الأصلي كما تشهد بذلك الأبيات التالية من تخميس مقري:

والأرض في شرقها أو في مغاربها مذ حل فيها كما ثوب السماء بها

كأنه الغيث في إحياء جادبها بعارض جاد أو خلت البطاح بها

سيب من اليم أو سيل من العرم

ومثلها في تخميس كبير عثمان بوتشي قوله:

القاسم الخير بين الخلق ما افتقرت أرض إلى الغيث بل الغيث قد رُوِيتْ

فَفُسحة الأرض بالأرزاق قد طفِحت ولن يفوت الغنى منه يدا تربت

إن الجبا ينبت الأزهار في الأكم

البرق يلمع والأستارُ كاشفة سل أمَّ عثمان عنها فهي شاهدة

فالأرض تمرح والأملاك جاهزة والجن تهتف والأنوار ساطعة

والحق يظهر من معنى ومن كلم

وهكذا تفاعلت ألفاظ النصوص المخمَّسة مع النص الأصلي لتسدعي البيئة الطبيعية التي احتضنت النص الأصلي بكل مقوّماتها أرضاً وسماءً، وتُخلِق تناصاً لفظيًّا على مستوى هذا المعجم على الرغم من أن التخميسات لم تستدع كلَّ ألفاظ الطبيعة المستوظفة في النص الأصلي، ولا يدل ذلك بحالٍ على تقصير فيها، بل ذلك ناتج كما سبق من اختلاف بيئات المبدعين، واعلم أن لخصوصية الإبداع قيمة تناصية كبيرة.

2- معجم الأطلال والأعلام

تتميَّز قصيدة البردة ببنائها الكلاسيكي الذي من أهم ملامحه المقدمة الطللية التي استهلَّ بها البوصيري القصيدة على طريق الشعراء الجاهليين في ذكر الديار المقفرّة، والرسوم البالية، والربوع الخالية؛ بعد أن تحمَّلت عنها الحبيبة وتمَّمت إلى حيث لا يكاد يدري إلا أهل حيِّها. على أن المقدمة الطللية عند البوصيري تحمل بعداً دلالياً لا تحمله مقدمات قصائد الشعراء الجاهليين القدامى، فغزل البوصيري وعشقه كان روحيًّا دينياً يحِنُّ إلى الحضرة العُليا حضرة المصطفَى صلى الله عليه وسلم، فهو عشقٌ

نبويٌّ، تستحضره المقدمة الطللية بألفاظها التي تشير إلى المواضع المقدَّسة التي عاش فيها النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وقد تمثَّلت هذه الأماكن من خلال تردُّداتها في الأبيات التالية:

1- أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ
2- أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ وَأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ
5- لَولاَ الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ وَلاَ أَرَقْتَ لِذِكْرِ البَانِ وَالعَلَمِ

فالألفاظ مثل: ذي سلم، كاظمة، إضم، البان والعلم، كلُّها مواضع تستحضر بعَلَمِيّتها السيرة النبوية بطهارتها وصفائها.

أما أسماء الأعلام فقد تردَّدت في عدد من الأبيات في قصيدة البردة يمكن استعراضها في الأبيات التالية:

1- أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ
2- أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ وَأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِنْ إِضَمِ
5- لَولاَ الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ وَلاَ أَرَقْتَ لِذِكْرِ البَانِ وَالعَلَمِ
9- يَا لاَئِمِي فِي الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ
34- مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الكَوْنَيْنِ وَالثَّقَلَيْـ ـنِ وَالفَرِيقَيْنِ مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمِ
43- دَعْ مَاادَّعَتْهُ النَّصَارَى فِي نَبِيِّهِمُ وَاحْكُمْ بِمَا شِئْتَ مَدْحاً فِيهِ وَاحْتَكِمِ
60- يَوْمَ تَفَرَّسَ فِيهِ الفُرْسُ أَنَّهُمُ قَدْ أُنْذِرُوا بِحُلُولِ البُؤسِ وَالنِّقَمِ
61- وَبَاتَ إِيوَانُ كِسْرَى وَهْوَ مُنْصَدِعُ كَشَمْلِ أَصْحَابِ كِسْرَى غَيْرِ مُلْتَئِمِ
63- وَسَاءَ سَاوَةَ أَنْ غَاضَتْ بُحَيْرَتُهَا وَرُدَّ وَارِدُهَا بِالغَيْظِ حِينَ ظُمِي
70- كَأَنَّهُم هَرَباً أَبْطَالُ أَبْرَهَةٍ أَوْ عَسْكَرٍ بِالحَصَى مِنْ رَاحَتَيْهِ رُمِي
71- نَبْذاً بِهِ مِنْ بَعْدِ تَسْبِيحٍ بِبَطْنِهِمَا نَبْذَ المُسَبِّحِ مِنْ أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ
76- وَمَا حَوَى الغَارُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ كَرَمٍ وَكُلُّ طَرْفٍ مِن الكُفَّارِ عَنْهُ عَمِي
77- فَالصِّدقُ فِي الغَارِ وَالصِّدِّيقُ لَنْ يَرِمَا وَهُمْ يَقُولُونَ: مَا بِالغَارِ مِنْ أَرِمِ
92- لَمْ تَقْتَرِنْ بِزَمَانٍ وَهْيَ تُخْبِرُنَا عَنِ المَعَادِ وَعَنْ عَادٍ وَعَنْ إِرَمِ
128- وَسَلْ حُنَيْناً وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً فُصُولُ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الوَخَمِ
146- فَإِنَّ لِي ذِمَّةً مِنْهُ بِتَسْمِيَتِي مُحَمَّداً وَهْوَ أَوْفَى الخَلْقِ بِالذِّمَمِ
151- وَلَمْ أُرِدْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا الَّتِي اقْتَطَفَتْ يَدَا زُهَيرٍ بِمَا أَثْنَى عَلَى هَرِمِ

من أهمِّ أسماء الأعلام إلحاحاً في قصيدة البردة أسماء الأنبياء وفي مقدَّمتهم محمد صلى الله عليه وسلم الذي ورد اسمه بلفظه (محمد) مرتين في البيت(34- 146)، ووردت أوصاف جوهرية لفرزه وتحديده منها (سيِّد الكونين والثقلين، في البيت34)، و(الصِّدق، في البيت 77)، وغيرها من الأوصاف التي تحدِّد عَلَم الرسول (محمد) صلى الله عليه وسلم. أما الأنبياء الآخرون فقد اكتفى البوصيري بأوصافهم من دون التصريح بأسمائهم (العلم) ولعل السبب في ذلك أنه أشار إلى الأنبياء في سياق الردِّ على أصحاب الملل الأخرى وردَّ مزاعمهم وتدحيض حججهم، فممن ذكرهم من الأنبياء بأوصافهم نبي الله عيسى عليه السلام الذي أشار إليه بقوله (دَعْ ما ادَّعته النَّصَارَى في نبيِّهم، البيت43) فإضافة كلمة النبي إلى النصارى صار تحديداً لاسم (نبي الله

عيسى عليه السلام). ويوردُ البوصيري اسم نبي الله يونس تلميحاً بوصفه بكلمة (المسَبِّح) كما في البيت71، وقد ربط هذا الوصفَ بما يُحدِّدُه في قوله "فِي أَحْشَاءِ مُلْتَقِمِ" فالاسم "المسبِّح" الذي يلمح إلى نبي الله يونس عليه السلام يستدعي قصَّة قرآنية بأوصافه المحدِّدة له.

ويقارن البوصيري بين وصفين لعَلَمَين مختلفَين في نسج سجعي جميلٍ في البيت(77) من البردة، وهما (الصِّدقُ والصِّدِّيق) ويعني بالصِّدق (محمداً صلى الله عليه وسلم)، وبالصِّدِّيق (أبابكرٍ الصدِّيق) الخليفة الأول للرسول صلى الله عليه وسلم. والعلمان جميعا يستدعيان حدثاً تاريخيًّا فعَّالاً في تاريخ الدعوة الإسلامية ذاك هو تاريخ الهجرة الشريفة ومواقف الرجلين في تحقيقها.

وبجانب أسماء الأنبياء أورد البوصيري أعلامَ آخرين منها أعلام القبائل والملل والأماكن منها: النصارى واليهود، والفرس والروم والعذرة[7] وعاد وإرم[8]، وحنينٍ وبدرٍ وأحدٍ وغيرها. ومن أسماء الأعلام الآخرين أيضاً: أبرهة[9]، وزهير[10]، هرم[11] وكسرى غيرهم.

إن ما سبق من تحديد مقوِّمات هذا المعجم في النص الأصلي "قصيدة البردة" يُعتبر كتوطئة تُمهِّد الطريق لتحديد نواحي التفاعل بين البردة وتخميساتها المختارة داخل معجم الأطلال والأماكن والأعلام، وقد استطاع الباحث تحديد نواحي تفاعلهما على النحو التالي:

1- تناصت التخميسات المختارة جميعاً تناصاً جميلاً مع البردة في المقدَّمة الطللية من خلال استدعاء وتمطيط بعض ألفاظ معجمها الطللي مثل: تذكُّر – هبوب الريح- البكاء- الأرق، فأضافت التخميسات إلى معجم البردة الطللي ألفاظ أُخر، فعند أمير المؤمنين محمد بلو مثلاً ترددت ألفاظ مثل: السهر، والوجد، والألم، والقلق، واللمم، وكلها تشير إلى ألم الفراق ولهفة الحنين إلى ديار الحبيب، ثم تنسم الريح، ومساجلة الورق، والشدو، وكلُّها تدخل في معنى هبوب الريح عند البوصيري، وقد استطاع محمد بلو النسج بهذه الألفاظ على منوال مقدمة البردة الطللية على النحو التالي:

يا ساهر الليلة الليلاء لم ينم وأصبح القلب ذا وجدٍ و ذا ألم
وظلَّ ذا قلقٍ يبكي كذا لمم أ من تذكُّر جيرانٍ بذي سلم

مزجت دمعا جرى من مقلةٍ بدم

أمن تنسُّم ريا ريح فاطمة ساجلتَ ورقاً على أفنان دارمةٍ
تشدو لذكرى فراخ غير ناعمةٍ أم هبَّت الريح من تلقاء كاظمة

وأومض البرقُ في الظلماء من إضم

أ تُذرف الدمع فوق الخدِّ وهو دم والقلب من نار عشق الحبِّ مضطرم
وتدعي أن ما أضمرت مكتتم أ يحسب الصَّب أن الحبَّ منكتم

ما بين منسجم منه ومضطرم

هيهات هيهات لا يخفى على رجلٍ وليس يخفى هوى إلا على جمل
كم شاهد فيه قد أبدوه في مثل لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل

ولا أرقت لذكر البان والعلم

ويضيف مقري إلى المعجم الطللي ألفاظ أخرى مثل: الصبابة، والحدمُ[12]، والهيام، والتهييج، أما هبوب الريح عند البوصيري فهي عند مقري طيف خاطفة، كما في الأبيات التالية من مقدمة تخميسه:

يا أيها الصب من وجدٍ ومن ألم ما شأن هذا الذي في الصدر من حَدم
فلم تزل هائما في وهدة الدُّجم أمِن تذكُّر جيران بذي سلم

مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

أم عدت ماضيك أم طيف لخاطفة سرى لتهييج نار فيك ساكنة
كم للهوى العذري من أسرى ومن ترة أم هبَّت الريح من تلقاء كاظمة

وأومض البرق في الظلماء من إضم

ما الخطب ما شأن عينيك وما حوتا فكل أسرار قلب الصب أعلنتا
والخد أجرحتا دمعا وآرقت فما لعينيك إن قلت اكففا همتا

وما لقلبك إن قلت استفق يهم

وتتكرَّر الألفاظ بنفسها أو بمرادفاتها في تخميس كبير عثمان بَوتْشِي على النحو التالي:

ما بال جسمك سيَّالاً بلا لتم ومعلناً ما احتواه القلب من ألم
والجفن منسكب المأقين كالدِّيم أَ من تذكُّر جيرانٍ بذي سلم

مزجت دمعا جرى من مقلةٍ بدم

أم جاء طيفٌ به ألحاظ فاتنة ترمي بعينٍ من الإغراء فاتنة
وازورَّ من بعدما أفضى بنائبةٍ أم هبَّت الريح من تلقاء كاظمة

وأومض البرقُ في الظلماء من إضم

أ قد طال وجدُك والتهيامُ منذ أتى فكيف تصبر من تهييجه ومتى؟
لكن عهدناك للتجلاد ملتفتا فما لعينيك إن قلت اكففا همتا

وما لقلبك إن قلت استفق يهم

بهذه الطريقة حاولت التخميسات الثلاث استدعاء البنية الطللية للقصيدة الأصلية من خلال معجمها، على أن هناك جانبا من جوانب المعجم الطللي المستوظف في القصيدة الأصلية لم تستدعه التخميسات، ذاك هو ذكر الأماكن فالبوصيري مثلاً ذكر أماكن مثل: ذي سلم وإضم[13] وكاظمة[14]وغيرها، في حين خلت التخميسات المختارة من إيراد مواضع أُخر، واعتمدت على المواضع التي أوردها النص الأصلي من دون الزيادة عليه، إلاَّ ما يُوجد في تخميس أمير المؤمنين محمد بلو من ذكر موضع (دارمة)، وهو موضع ما استطاع الباحث تحديد موقعه الجغرافي.

هذا على الرغم من وجود أماكن متعدِّدة يمكن للشعراء المخمِّسين إضافتها إلى مقدِّماتهم لإثراء المفهوم الطللي المستوظف في النص الأصلي، في حين أنك تجد بعضاً من المخمِّسين يستدعون تلك الأماكن خارج المقدمة الطللية، ففي تخميس مقري مثلاً استدعاء لـ"طيبة الرسول صلى الله عليه وسلم" في قوله:

فاذهب لطيبة واسأل عن مناقبه وانظر حواليك وابصر من عجائبه
ترى هنالك سراً لا يباح به منزَّه عن شريك في محاسنه

فجوهر الحسن فيه غير منقسم

ويدلُّ على أن عزوف الشعراء المخمِّسين عن استدعاء أماكن أُخرى كان لأسبابٍ، منها حسب رأي الباحث؛ أن المقدمة الطللية ليست هي الشغل الشاغل لهؤلاء المخمِّسين، وأهمُّ شيء يعنيهم فيها هو الاحتذاء، بالإضافة إلى الجانب العاطفي النفسي الذي يربط بين المخمِّسين والمقدمة الطللية وما فيها من ألم الفراق ولوعة العشق، ولعل ما ذكره مقري في البيت التالي يفسِّر لسان حال هؤلاء المخمِسين جميعاً:

لله درُّك ما للمارة الأوَّلِ وما لأطلالهم تصبو إلى طُلل
فَلتصحُ من ذكر ما للدهر من طيل لولا الهوى لم ترق دمعا على طلل

ولا أرقت لذكر البان والعلم

2- ومن النواحي التي تناصت التخميسات مع البردة في هذا المعجم، استدعاؤها لأسماء الأعلام والأماكن على منوال النص الأصلي، حيث أضافت التخميسات إلى هذا المعجم ركاماً من الألفاظ لهدف إثراء شعرية النص الأصلي، وقد استوظفت التخميسات مختلف التقنيات لاستدعاء الأعلام والأماكن، فقد تستحضرها بعَلَمها(اللقب، الكنية، الاسم)، أو بوظيفتها أو بخطابها، فمن استحضار التخميسات لأسماء الأعلام بِعَلَمِها، استدعاء كبير عثمان للأعلام: كسرى أنو شروان، وأمُّ عثمان، وجابراً، وقتادة، وأم المؤمنين، ومسيلمة الكذاب، وجبريل، كما في الأبيات التالية:

وشاق كسرى أنو شروان جذوتُها تخبو وتدعو إلى الإطفاء جمرتُها
وصدَّ قاصدَها أن فلَّ حدوتها وساء ساوة أن غاضت بحيرته

وردَّ واردها بالغيظ حين ظمي

البرق يلمع والأستارُ كاشفة سل أمَّ عثمان عنها فهي شاهدة
فالأرض تمرح والأملاك جاهزة والجن تهتف والأنوار ساطعة

والحق يظهر من معنى ومن كلم

سلُ جابراً عن غصونِ وهي باعدةً كيف انحنت وتدانت وهي حاجبةً
ظلالُها لرسول الله وارفةً مثل الغمامة أني سار سائرة

تقيه حرَّ وطيس للهجير حم

وسل بني سعدٍ عن كيف شقَّ له صدرٌ وعن عمره حتى تحمَّله
وأيّ ماء من الفردوس غسَّله أقسمت بالقمر المنشق أن له

من قلبه نسبة مبرورة القسم

ومثله في تخميس مقري استحضاره لأسماء شخصيات مثل: طه، واليهودي، يوسف، خليل الله، الروح، هرقل، سطيحاً، أم عثمان، سطيح، سراقة، الماحي، موريس بوكاي، جِينو، وغيرهم، ومن شواهد استدعائه قوله:

ويل لمن تاه في قعر الضلال فظنْ ن المصطفى آخذًا دار المرور وطن
سل اليهوديَّ عما جا بُعيد عدن وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من

لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

كانوا دعاةٍ إلى الإسلام ما علموا سل "هرقلا" عن قريش حين جيئهم
فما به عُقِد الأسماع منفصم حتى غدا عن طريق الوحي منهزم

من الشياطين يقفو إثر منهزم

صفيَّ ظمانا وأما الشرك حيرتها يزداد واسأل"سطيحا" إذ يجيب، وها
"عبد المسيح" لتي الأخبار مخبرها وساء ساوة أن غاضت بحيرتها

ورد واردها بالغيظ حين ظمي

أما النجوم تهاوى وهي زاهية سل "أم عثمان" عن ذا فهي شاهدة
كأنما جنة الفردوس بارزة والجنُّ تهتف والأنوار ساطعة

والحق يظهر من معنى ومن كلم

رحمى النبي تسع الكفار في سعة فاسأل "سراقة" عن أخبار باغية
لعله منهم والكل في ضعة وقاية الله أغنت عن مضاعفة

من الدروع وعن عال من الأطم

مستشرقا كف عنك اللوم وانتبه فذاك"موريس بوكاي[16]"هلا امتثلت به
وقال "جينو"[15] لها قولا كأعجبه محكمّات فما يبقين من شبه

لذي شقاق وما يبغين من حكم

يلاحظ في الشواهد السابقة أن التخميسات تستحضر الأعلام بعَلَمِيَّتها عن طريق الاسم المباشر أو الكنية أو اللقب، أما استدعاؤها للوظيفة فكان أقلَّ من سابقه، ومن نماذجه في تخميس كبير عثمان بَوتْشِي قوله:

سلِ الذي استلَّ سيفاً عن بسالته تحت الغصون وعن ما في مقالته
قد قال مُرتجفاً لسانُ حالته كأنَّه وهو فردٌ في جلالته

في عسكر حين تلقاه وفي حشم

إن الشاعر لا يستحضر اليهودي باسمه ولا بلقبه وإنما بعمله الذي يستدعي قصَّة كاملة من السيرة وما ظهر أثناءها من معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم. وإن مقطع عجز البيت الأول من التخميس قوله: " تحت الغصون وعن ما في مقالته" بؤرة أساسية توجِّه المعنى الذي يريده الشاعر، لأنها تكشف عن نواح تتعلَّق بالقصة أو الشخصية المستدعاة.ومن الجدير بالذكر هنا أن استدعاء التخميسات لأسماء الأعلام على منوال استدعاء النص الأصلي (البردة) لها، يحمل من الشعرية ما يحملها النص الأصلي، فاستدعاء النص الأصلي والتخميسات لأسماء الأعلام جاء معظمه لتعميق معنى الصراع بين الحق والباطل كما يتجلَّى من خلال إيراد أسماء النصارى واليهود والفرس والروم وعاد وإرم، وأبرهة وكسرى، وهذه الأسماء جميعاً تمثِّل جانبا من الصراع، بينما تُمثِّل أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم بجميع أوصافها الواردة في البردة، وكذا الصحابة بأوصافهم، الجانب الآخر من الصراع. أما أسماء الأنبياء الواردة في النصَّين(يوسف، إبراهيم، يُونس وغيرهم)، فكانت تُستوظف للكشف عن نواحي أفضلية الرسالة المحمدية على سائر الرسالات السماوية المنزَّلة، وتكشف كذلك عن جانب من أفضلية الرسول صلى الله عليه وسلم على الخلق أجمعين بما فيهم الأنبياء والرسل عليهم السلام مصداقاً لقوله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم: 4).كما ترددت معظم هذه الأسماء في سياق مجادلة أصحاب الملل الأخرى من النصارى واليهود.

ويُلاحظ في التخميسات الثلاث المختارة أن بعضها أشدُّ إلحاحاً باسماء الأعلام والأماكن من بعض، فقد ترددت أسماء الأعلام والأماكن في تخميس مقري أكثر من خمس وثلاثين مرة، فصار أكثر التخميسات توظيفاً لها، ويليه تخميس كبير عثمان بَوتْشِي بعشر تردُّدات، وكان تخميس أمير المؤمنين محمد بلو أقل التخميسات توظيفاً لها حيث تردَّدت أربع مراتٍ فقط.

على أن هناك نقطة جديرة بالإشارة في توظيف الشعراء المخمِّسين لأسماء الأعلام، فقد استدعى مقري اسمين لعَلَمَين كبيرين هما مُورِسْ كَايْ و جِنيُو، ممن أقرُّوا بصدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم، إذ يقول:

مستشرقا كف عنك اللوم وانتبه فذاك"موريس بوكاي"هلا امتثلت به
وقال "جينو" لها قولا كأعجبه محكمّات فما يبقين من شبه

لذي شقاق وما يبغين من حكم

فالتخميس يحاول بعث ألفاظ النص الأصلي من مرقدها، ويلبسها ثوباً جديداً من الدلالة المناسبة لذوق عصره، لهدف تقريب وتعميق دلالة النص الأصلي على صدق الرسالة المحمدية، التي قال عنها البوصيري:

لاَ تَعْجَبَنْ لِحَسُودٍ رَاحَ يُنْكِرُهَا تَجَاهُلاً، وَهْوَ عَيْنُ الحَاذِقِ الفَهِمِ
قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوءَ الشَّمسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَمِ

هذا ما استطاع الباحث الوصول إليه من نواحي تناص التخميسات مع البردة في مستوى معجم الأطلال والأعلام.

3- معجم أعضاء الإنسان وما في حكمها

شهد هذا المعجم حفاوة كبيرة من البوصيري – ولا غرابة في ذلك – فالتربية الصوفية التي شرب من معينها هي العامل الكبير في ذلك، فالنفس والقلب ما يعتريهما من التذكُّر والصبابة والهوى والوجدُ والحبُّ واللذة والألم والسقم والإفاقة والوهم والرؤية والعمى والسمع والصمم، كانت من أشدّ الألفاظ إلحاحاً على قصيدة البردة، فقد تردد ذكر النفس والقلب بأوصافهما وعوارضهما حوالي ثلاثين مرة. ومن أعضاء الإنسان التي لقيت هذه الحفاوة أيضا، العين، والفم، فقد تردد دوران كلمة العين وما في حكمها من الدمع والأرق اثنا عشرة مرة، أما الفم فقد ورد مرةً واحدةً. ويمكن تلمُّس ألفاظ هذا المعجم داخل سياقاتها من القصيدة على النحو التالي:

1- أَمِنْ تَذَكُّرِ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمِ مَزَجْتَ دَمْعاً جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

3- فَمَا لِعَيْنَيْكَ إِنْ قُلْتَ اكْفُفَا هَمَتَا وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتُ اسْتَفِقْ يَهِمِ

4- أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ مَا بَيْنَ مُنْسَجِمٍ مِنْهُ وَ مُضْطَرِمِ

5- لَوْلاَ الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ وَلاَ أَرَقْتَ لِذِكْرِ البَانِ وَالعَلَمِ

6- فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًّا بَعْدَ مَا شَهِدَتْ بِهِ عَلَيْكَ عُدُولُ الدَّمْعِ وَالسَّقَمِ

7- وَأَثْبَتَ الوَجْدُ خَطَّي عَبْرَةٍ وَضَنًى مِثْلَ البَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَالعَلَمِ

8- نَعَمْ سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى فَأَرَّقَنِي وَالحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَّذَّاتِ بِالأَلَمِ

9- يَا لاَئِمِي فِي الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ

11- مَحَّضْتَنِي النُّصْحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ إِنَّ المُحِبَّ عَنِ العُذَّالِ فِي صَمَمِ

13- فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَاائْتَمَرَتْ مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالهَرَمِ

18- وَالنَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

19- فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَهُ إِنَّ الهَوَى إِذَا مَا تَوَلَّى يَصُمِ أَوْ يُصِمِ

23- وَاسْتَفْرِغِ الدَّمْعَ مِنْ عَيْنٍ قَدِ امْتَلأَتْ مِنَ المَحَارِمِ وَالْزَمْ حِمْيَةَ النَّدَمِ

24- وَخَالِفِ النَّفْسَ وَالشَّيْطَانَ وَاعْصِهِمَا وَإِنْ هُمَا مَحَّضَاكَ النُّصْحَ فَاتَّهِمِ

31- وَرَاوَدَتْهُ الجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ ذَهَبٍ عَنْ نَفْسِهِ فَأَرَاهَا أَيَّمَا شَمَمِ

75- أَقْسَمْتُ بِالقَمَرِ المُنْشَقِّ إِنَّ لَهُ مِنْ قَلْبِهِ نِسْبَةً مَبْرُورَةُ القَسَمِ

82- لاَ تُنْكِرِ الوَحْيَ مِنْ رُؤْيَاهُ إِنَّ لَهُ قَلْباً إِذَا نَامَتِ العَيْنَانِ لَمْ يَنَمِ

104- قَدْ تُنْكِرُ العَيْنُ ضَوْءَ الشَّمسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكِرُ الفَمُ طَعْمَ المَاءِ مِنْ سَقَمِ

113- كَيْمَا تَفُوزَ بِوَصْلٍ أَيَّ مُسْتَتِرٍ عَنِ العُيُونِ وَسِرٍّ أَيِّ مُكْتَتَمِ

118- رَاعَتْ قُلُوبَ العِدَا أَنْبَاءُ بِعْتَتِهِ كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الغَنَمِ

134- طَارَتْ قُلُوبَ العِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقاً فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ وَالبُهَمِ

143- فَيَا خَسَارَةَ نَفْسٍ فِي تِجَارَتِهَا لَمْ تَشْتَرِ الدِّينَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَسُمِ

155- يَا نَفْسُ لاَ تَقْنَطِي مِنْ زَلَّةٍ عَظُمَتْ إِنَّ الكَبَائِرَ فِي الغُفْرَانِ كَاللَّمَمِ

هكذا تزاحمت ألفاظ هذا المعجم في القصيدة لتكسب عظامها لحما من الخطاب الصوفي، ذلك الخطاب الذي اتخذ النفس مدارها وقسَّمها تبعا لذلك إلى أمَّارة، ولوَّامة، ومُلهمة، ومطمئِنَّة، وغير ذلك من الأقسام.[17]

وإذا ثبت لهذا المعجم ما سبق من الدور الكبير في توجيه النص الأصلي، فإنه من الضروري أن تتدلَّى ألفاظه بكل مقوِّماتها في كل نصٍّ يُريد التفاعل مع قصيدة البردة حتى وإن اختلفت طرق الأداء بين النَّصَّين، وعلى هذا الأساس تحرك المقال لرصد نواحي تفاعل التخميسات المختارة مع البردة داخل هذا المعجم، واستطاع الوصول إلى جملة من الحقائق من أهمِّها:

1- أن التخميسات الثلاث المختارة تفاعلت مع النص الأصلي داخل هذا العجم من خلال القيمة التراكُمية لعدد تردُّدات ألفاظ المعجم ومترادفاتها وما يدخل في حكمها من الألفاظ، كما يظهر من خلال الإحصائية التالية:

الأعضاء	محمد بلو	إبراهيم مقري	كبير عثمان
النفس	12	16	8
القلب	28	37	10
العين	5	22	14
اليد	-	2	1
الفم	1	-	-
الصدر	-	1	-
الرأس	-	1	11
الأذن	-	1	11
الشيب	-	1	-
الخدُّ	2	1	-

يمكن تسجيل الملاحظات التالية من خلال الجدول السابق:

- بلغ عدد تردد ألفاظ هذا المعجم في التخميسات الثلاث مائة وخمس وثمانين تردُّداً (185)، فتردَّدت عند محمد بلو ثمانٍ وأربعين مرةً (48) بنسبة 25،94%، وعند إبراهيم مقري اثنا وثمانين مرة (82) بنسبة 44،32%، وعند كبير عثمان خمساً وخمسين مرة (55) بنسبة 29،72%، وهذه النُسب تُوحي بتفاعلٍ كبيرٍ بين النص الأصلي والتخميسات المختارة داخل هذا المعجم.
- أن القلب وما يعتريها من الأحوال والنفس والعين من أشدِّ الأعضاء إلحاحاً على نصوص التخميسات المختارة، وهذا لا شكَّ يُنَمِّي عن تفاعلٍ كبيرٍ بين التخميسات والنص الأصلي، فهما ينتميان جميعا إلى نوعٍ خطابيٍّ واحدٍ هو الخطاب الصوفي.
- أن تخميس إبراهيم مقري كان أكثر التخميسات المختارة توظيفاً لألفاظ هذا المعجم، بنسبة 44،32% وهي أعلى النُسب، وأن التخميسات استوظفت بعض الأعضاء التي لم ترد في النص الأصلي مثل: الخدُّ، والأذن، والصدر، والرأس.

2- إن التمطيط بالتكرار كان من أهم آليات تفاعل التخميسات المختارة مع البردة داخل هذا المعجم، ويمكن التمثيل له بنماذج من تخميس مقري، حيث استطاع تمطيط كلمة (النفس) الموصوفة (بالأمّارة بالسوء) في قول البوصيري:

فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالهَرَمِ

فقد كرَّر مقري الكلمة في الأبيات المخمَّسة التالية:

فَالنَّفْسُ يَا صَاحِبِي بِالسُّوءِ آمِرَةٌ وَإِنَّهَا لِطَرِيقِ الخَيْرِ قَاطِعَةٌ
أَعِدْ لَهَا مَا اسْتَطَعْتَ، النَّفسُ غَاشِمَةٌ وَرَاعِهَا وَهْيَ فِي الأَعْمَالِ سَائِمَةٌ

وَإِنْ هِيَ اسْتَحَلَّتْ المَرْعَى فَلَا تَسِمِ

فَالنَّفْسُ هَائِمَةٌ (وَالقَلْبُ مَا انْتَذَرَ فِي كُلِّ وَادٍ، وَحَالِي حَالَةُ الشُّعَرَاءِ
فَمَا اتَّعَظْتَ بِ"فُرْقَانٍ" وَلَا "بَقَرَا" وَلَا أَعَدَّت مِن الفِعْلِ الجَمِيلِ قِرَا

ضَيْفٍ أَلَمَّ بِرَأْسِي غَيرَ مُحْتَشِمِ

وَالنَّفْسُ سَارِقَةٌ لِلْمَرْءِ إِنْ لَحِظَتْ سَلْ مَنْ قَدْ ائْتُمِنُوهَا لَا إِخَالُ وَفَتْ
وَيْحِي جَرَعْتُ مِن الآثَامِ مَا عَظُمَتْ فَإِنَّ أَمَّارَتِي بِالسُّوءِ مَا اتَّعَظَتْ

مِنْ جَهْلِهَا بِنَذِيرِ الشَّيْبِ وَالهَرَمِ

تَتِيهُ نَفْسِي فِي أَعْفَا غَوَايَتِهَ كَأَنَّهَا جُلِبَتْ فِي نَسْيِ غَايَتِهَ
لَمْ تَلْفِتْ النَّظْرَ عَمَّا فِي صَحِيفَتِهَ مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَ

كَمَا يُرَدُّ جِماحُ الخَيْلِ بِاللُّجَمِ

أَوْقِفْ مَسِيرَكَ ذَا لَا تُصغِيَنَّ إِلَى وَحْيِ النُّفُوسِ فَمَا تِي شِيمَةُ العُقَلَاءِ
وَاخْتَرْ مِن الأَمْرِ وَسْطَاهُ فَتَعْتَدِلَا وَالنَّفسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ عَلَى

حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

فَلْتَعْتَدِلْ وَتَوَسَّطْ لَا محلِّيه وَكُنْ عَدُوًّا لِمَا تُلْفِيهِ مَرْضِيَّه
كَذَا هَوَى النَّفْسِ يَبْغِي أَنْ تُلَبِّيَه فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَحَاذِرْ أَنْ تُوَلِّيَه

إِنَّ الهَوَى إِذَا مَا تَوَلَّى يَصُمِ أَوْ يُصْمِ

فقد تردَّد لفظ "النفس" في الأبيات السابقة سبع مراتٍ، إما مفرداً مثل: (النفس) أو جمعاً مثل: (النفوس)، أو مضافاً مثل: (نفسي) أو مضافاً إليه مثل: (هوى النفس،وحي النفوس) أو بدون الإضافة مثل:(والنفس، فالنفس).

4- معجم الدواب

سبقت الإشارة إلى أهمية الألفاظ في تكوين لحمة النص وتحديد هويَّته، فورود أسماء بعض الحيوانات بصورة خاصة في قصيدة البردة يُعبِّر بالضرورة عن بيئة النص وطبيعته واتجاه صاحبه، وهذا يُذكِّر القارئ بما ذُكر في المعجم الطللي عن كلاسيكية القصيدة، وهذا المعجم يُؤكِّد ذلك، فالخيل بكل مترادفاته وصفاته وما يرمز إليه من طبيعة الحياة العربية في بطولتها وشجاعتها وفروسيتها، قد تردَّد بلفظه (الخيل) مرَّتين، وبصفاته، (سابحة) مرة، أما الحيوانات الأخرى فقد تردَّدت منها: الأينق والعيس (أي الإبل)، والغنم، والبهم، والأسد، والليث، والأشبال،، والنعم، وكلُّها ألفاظ تُعبِّر عن بيئة النص الأصلي أصدق تعبير، وتساعد السرد الشعري في تبليغ رسالته زماناً ومكاناً. وقد تردَّدت هذه الألفاظ من خلال الأبيات التالية من البردة:

16- مَنْ لِي بِرَدِّ جِمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهاَ كَمَا تُرَدُّ جِمَاحُ الخَيْلِ بِاللُّجَمِ
105- يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ العَافُونَ سَاحَتَهُ سَعْياً وَفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ

118- رَاعَتْ قُلُوبَ العِدَا أَنْبَاءُ بِعْثَتِهِ كَنَبْأَةٍ أَجْفَلَتْ غُفْلاً مِنَ الغَنَمِ
120- وَدُّوا الفِرَارَ فَكَادُوا يَعْبِطُونَ بِهِ أَشْلاَءَ شَالَتْ مَعَ العِقْبَانِ وَالرَّخَمِ
123- يَجُرُّ بَحْرَ خَمِيسٍ فَوقَ سَابِحَةٍ يَرْمِي بِمَوجٍ مِنَ الأَبْطَالِ مُلْتَطِمِ
133- كَأَنَّهُم فِي ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُبَاً مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لاَ مِنْ شِدَّةِ الحُزُمِ
134- طَارَتْ قُلُوبَ العِدَا مِنْ بَأْسِهِمْ فَرَقاً فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ البَهْمِ والبُهَمِ
135- وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللهِ نُصْرَتُهُ إِنْ تَلْقَهُ الأُسدُ فِي آجَامِهَا تَجِمِ
137- أَحَلَّ أُمَّتَهُ فِي حِرْزِ مِلَّتِهِ كَاللَّيْثِ حَلَّ مَعَ الأَشْبَالِ فِي أَجَمِ
141- إِذْ قَلَّدَانِيَ مَا تُخْشَى عَوَاقِبُهُ كَأَنَّنِي بِهِمَا هَدْيٌ مِنَ النَّعَمِ
160- مَا رَنَّحَتْ عَذَبَاتِ البَانِ رِيحُ صَبَا وَأَطْرَبَ العِيسَ حَادِي العِيسِ بالنَّغَمِ

وقد بَدَا للباحث بعد تتبُّعه لنصوص التخميسات المختارة أنه يوجد تباين بين النص الأصلي والتخميسات المختارة في نطاق هذا المعجم، وذلك لقلة توظيف التخميسات للألفاظ الدالة على الحيوانات أو الدواب، ففي تخميس أمير المؤمنين محمد بلو مثلاً ورد لفظٌ واحدٌ فقط هو لفظ "الليثُ"، وفي تخميس مقري ثلاثة ألفاظ هي: الجَذَعُ[18]، والدواب، والليوث، في حين ورد في تخميس كبير عثمان بَوتْشِي لفظان هما الأينق[19]، والبراق، ولا شكَّ أن لاختلاف بيئة النَّصَّين أثراً في عدم انسجام النَّصَّين في هذا المعجم، وهذا الاختلاف يمثِّل جانباً من جوانب الخصوصيَّة الإبداعية التي أشار إليها حازم القرطاجنِّي[20]، وأنه يصعبُ بحال توافق النصَّين لمبدع واحدٍ في كل الخصائص والمقوِّمات، فما بالك بنصوص من شخصيات مختلفي البيئة والعصر، وعلى هذا فإن اختلاف النَّصَّين في هذا المعجم لا يُعتبر نقصاً تناصيًّا في التخميسات بقدر ما كان ميزة من أهمِّ مزايا تفاعل النصوص.

5- معجم الألفاظ العتيقة (التراثية)

الألفاظ العتيقة عبارة عن ألفاظ وصيغ قدِم بها العهد ترجع إلى عهود سحيقة، كأن يتداول الشاعر العباسي بعض الألفاظ الجاهلية ذات الإيحاءات الخاصة، أو الشاعر المحدث ألفاظ جاهلية أو عباسية، أو تراكيب نحوية عربية[21].

فعلى المفهوم السابق تزاحمت في البردة ألفاظٌ عتيقة ترجع في معظمها إلى العصر الجاهلي، وتستوحي بلفظها البيئة الجاهلية، وفيها ألفاظٌ كلفظ (خميس) الذي كان عباسيًّا، إذ اللفظ يعبِّر عن ثقافة العصر العباسي، وقد استطاع الباحث رصد عدد من الألفاظ تدخل حسب رأي الباحث في هذا المعجم ما يلي:

مُقْلَةٌ	العِقْبَانُ وَالرَّخَمُ	حَرُّ وَطِيسٍ\ الهَجِيرُ
طُلَلٌ	القَرْمُ \ القَرِمُ	الأُطُمُ
الوُشَاةُ	خَمِيسُ	الوَصَبُ \ اللِّمَمُ\ الرَّاحَةُ
العُذَال	اللِّمَمُ	العَارِضُ\ اليَمُّ
قِرَى ضَيْفٍ	السُّمَرُ	الشَّبِمُ
السَّغَبُ	شَاكِي السِّلاَحِ	الرَّمَدُ
الشَّمُّ \ الشَّمَمُ	الكَمِي	العِيسُ
الرَّشْفُ\الدِّيَمُ	رُبَا	الأَيْنُقُ الرُّسُمُ

ضَرَمُ الآجَامُ الوَضَمُ\ غُفْلاً مِنَ الغَنَمِ

هذه هي بعض الألفاظ التي اختارها الباحث من بين الألفاظ التي تكوَّن منها هذا المعجم، على أن ألفاظ هذا المعجم كانت قليلة بالمقارنة بألفاظ معجم الألفاظ الدينية (الإسلامية) ومن أجل هذا هيمنت الألفاظ الإسلامية عليها وخفَّفت من وطأتها على القصيدة، ومن أجل هذا يرى بعض الباحثين بأن ألفاظ قصيدة البردة أقرب إلى الألفاظ القرآنية."[22]

إن النتيجة السابقة قد تجلَّت آثارها في التخميسات المختارة، حيث استحوذت عليها الألفاظ الإسلامية برقتها وإيقاعها الرصين، وتقلَّصت الألفاظ العتيقة فيها إلى نُسبٍ قليلةٍ جدًّا مبثوثة في ثنايا التخميسات، مثل: كلمات تنسُّم، وترويض، وغيهب، والحدم، والدجم، وحصحصة، واكوهَّد، والجذع، وخرخر، والنكد، اللتم، والهيام، والحدو، والتملُّص وغيرها.

6- الإيلاع باستعمال لفظ "كأنَّ"

يتعرَّض المقال للفظ "كأنَّ" وما يلحق به من الأدوات والضمائر مثل: (كأنه- كأنها- كأنَّما- كأنَّهم- كَأَنِّي) كمعجم من معاجم ألفاظ قصيدة البردة لا من حيث وظيفته التشبيهية، بل من حيث وظيفته التناصية المتمثِّلة في تراكماته التي بلغت ثمانية تردُّداً في القصيدة، وذلك من خلال الأبيات التالية من القصيدة:

56- كَأَنَّهُ وَهْوَ فَرْدٌ مِنْ جَلاَلَتِهِ فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَ فِي حَشَمِ

57- كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ المَكْنُونُ فِي صَدَفٍ مِنْ مَعْدِنَيْ مَنْطِقٍ مِنْهُ وَمُبْتَسَمِ

64- كَأَنَّ بِالنَّارِ مَا بِالمَاءِ مِنْ بَلَلٍ حُزْناً، وبالمَاءِ مَا بالنَّارِ مِنْ ضَرَمِ

70- كَأَنَّهُمْ هَرَباً أَبْطَالُ أَبْرَهَةٍ أَوْ عَسْكَرٍ بِالحَصَى مِنْ رَاحَتَيهِ رُمِي

73- كَأَنَّمَا سَطَرَتْ سَطْراً لِمَا كَتَبَتْ فُرُوعُهاَ مِنْ بَدِيعِ الخَطِّ بِاللَّقَمِ

101- كَأَنَّهَا الحَوضُ تَبْيَضُّ الوُجُوهُ بِهِ مِنَ العُصَاةِ وَقَدْ جَاؤُوهُ كَالحُمَمِ

122- كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَيْفٌ حَلَّ سَاحَتَهُمْ بِكُلِّ قَرْمٍ إِلَى لَحْمِ العِدَا قَرِمِ

133- كَأَنَّهُم فِي ظُهُورِ الخَيْلِ نَبْتُ رُبَا مِنْ شِدَّةِ الحَزْمِ لا مِنْ شَدَّةِ الحُزُمِ

تكتسب اللفظة جمالها في القصيدة من أجل إيقاعها الرصين، ولسببه حاول الشعراء المخمِّسون توظيفها في تخميساتهم، فقد رصد الباحث ستة توظيفات للفظة في تخميس مقري على النحو التالي حين يصف النفس في غفلتها ونسيانها:

تَتِيهُ نَفْسِي فِي أَعْفَا غَمَايَتِهَ كَأَنَّهَا جُلِبَتْ فِي نَسْيِ غَايَتِهَ

لَمْ تُلْفِتِ النَّظْرَ عَمَّا فِي صَحِيفَتِهَ مَنْ لِي بِرَدِّ جَمَاحٍ مِنْ غَوَايَتِهَ

كَمَا تُرَدُّ جَمَاحُ الخَيْلِ بِاللُّجَمِ

ومثله حين يستدعي لفظة "كَأَنَّ" من النص الأصلي عند الحديث عن معجزة القرآن وآياته المبهرة، فالبوصيري في النص الأصلي قال عنها:

كَأَنَّهَا الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوُجُوهُ بِهِ مِنَ العُصَاةِ وَقَدْ جَاءُوهُ كَالحُمَمِ

أما مقري فمطَّطَّ الصورة من خلال تكرار لفظة "كَأَنَّ" من النص السابق كما في قوله:

تَعْلُو بِأَحْكَامِهَا القِسْطَاسَ مَنْزِلَةً خُذْهَا بِأَيدٍ أَخِي تَكْفِيكَ مُحْكَمَةً

كَأَنَّهَا شَمْسُنَا الِمقْحَامُ مُظْلِمَةً وَكَالصِّرَاطِ وَكَالِميزَانِ مَعْدِلَةً

فَالقِسْطُ فِي غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ

وتتكرَّر اللفظةُ في التخميس على النحو التالي:

أَمَّا النُّجُومُ تَهَاوَى وَهْيَ زَاهِيَةٌ سَلْ "أُمَّ عُثْمَانَ" عَنْ ذَا فَهيَ شَاهِدَةٌ
كَأَنَّمَا جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ بَارِزَةٌ وَالجِنُّ تَهْتِفُ وَالأَنْوَارُ سَاطِعَةٌ

وَالحَقُّ يَظْهَرُ مَنْ مَعْنًى وَمِنْ كَلِمِ

وَالأَرْضُ فِي شَرْقِهَا أَوْ فِي مَغَارِبِهَا مُذْ حَلَّ فِيهَا كَمَا ثَوْبُ السَّمَاءِ بِهَا
كَأَنَّهُ الغَيْثُ فِي إِحْيَاءِ جَادِبِهَا بِعَارِضٍ جَادَ أَوْ خِلْتَ البِطَاحَ بِهَا

سيب من اليم أو سيل من العرم

فاعْجَبْ كَأَيِّ بِعَيْبِ الآخَرِينَ وَلِيٌّ عَيْنَاي عَنء عَوْرَةِ الأَغْيَارِ فِي خَجَلِ
وَضِعتُ مَا لِيَ مِن فَرْطٍ وَمِنْ زُلَلٍ أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ قَوْلٍ بِلَا عَمَلِ

لَقَدْ نَسَبْتُ بِهِ نَسَلًا لِذِي عُقُمِ

وَعَنْ رُوَّادِ الفَضَا مِنْ بَعْدِ (غر) سنةٍ كَأَنَّ فِيهَا حَيَاةً جدَّ دَائِمَةٍ
كَمْ مِنْ مَعَانٍ لَهَا بِالحَقِّ شَاهِدَةٍ دَامَتْ لَدَيْنَا فَفَاقَتْ كُلَّ مُعْجِزَةٍ

مِنَ النَّبِيِّينَ إِذْ جَاءَتْ وَلَمْ تَدُمِ

تَعْلُو بِأَحْكَامِهَا القِسْطَاسَ مَنْزِلَةً خُذْهَا بِأَيدٍ أَخِي تَكْفِيكَ مُحْكَمَةً
كَأَنَّهَا شَمْسُنَا المِقْحَامُ مُظْلِمَةً وَكَالصِّرَاطِ وَكَالميزَانِ مَعْدَلَةً

فَالقِسْطِ فِي غَيْرِهَا فِي النَّاسِ لَمْ يَقُمِ

هكذا تكرَّرت اللفظة في تخميس مقري، أما في تخميس أمير المؤمنين محمد بلو فقد تردَّدت الكلمة ست مرات، أربع منها في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم، واثنتان منها في وصف الكفار، ومن ذلك الأبيات التالية في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم:

فَإِنَّهُ الفَرْدُ حَقًّا فِي رِسَالَتِهِ كَأَنَّه البَدْرُ بَادٍ وَسْطَ هَالَتِهِ
كَأَنَّه اللَّيْثُ يُخْشَى مِنْ بَسَالَتِهِ كَأَنَّه وَهْوَ فَرْدٌ مِنْ جَلَالَتِهِ

فِي عَسْكَرٍ حِينَ تَلْقَاهُ وَفِي حَشَمِ

كَأَنَّ سِدْرَةَ مَأْوَى الخَلْقِ فَاحَتُهُ وَالآيَةُ الكُبْرَى لِلْكُلِّ رَاحَتُهُ

وَمَوْرِدُ الكُلِّ فِي الدَّارَيْنِ رَاحَتُهُ يَا خَيْرَ مَنْ يَمَّمَ العَافُونَ سَاحَتَهُ

سَعْياً وَفَوْقَ مُتُونِ الأَيْنُقِ الرُّسُمِ

كَأَنَّمَا البَدْرُ رَجُلاً وَهْوَ فِي سَدَفٍ أَوْ السِّرَاجُ تَرَاءَى وَهْوَ فِي غُرَفِ
إِذَا تَكَلَّمَ مُبْتَسِماً لِمُؤتلفٍ كَأَنَّمَا اللُّؤْلُؤُ المَكْنُونُ فِي صَدَفِ

مِنْ قَابَ قَوْسَينِ لَمْ تُدْرِكْ وَلَمْ تَرِمِ

ومن توظيفات محمد بلو للفظة (كأنَّ) في وصف الكفار قوله في الأبيات التالية:

كَأَنَّهُمْ خَدَعٌ وَقَعَتْ عَلَى شَرَكٍ بَلْ هُمْ عَصَافِيرُ فِي شَرَكٍ وَفِي شَبَكِ
آبَادُهُمْ فَهْوَ وَارِدٌ رَدٌّ عَلَى دَرَكٍ مَا زَالَ يَلْقَاهُمُ فِي كُلِّ مُعْتَرَكِ

حَتَّى حَكَوْا بِالقَنَا لَحْمًا عَلَى وَضَمِ

حَتَّى غَدَا جَمْعُهُ فِي كُلِّ مَا جِهَةٍ خَوْفَ الثَّوَاقِبِ مِنْ شُهُبٍ مُوَجَّهَةٍ
كَأَنَّهُمْ مِثْلُ البَالِ مُولِهَةٍ كَأَنَّهُمْ هَرَبًا أَبْطَالُ أَبْرَهَةٍ

أَوْ عَسْكَرٍ بِالحَصَى عَنْ رَاحَتَيْهِ رُمِ

وكان كبير عثمان بَوتْشِي أقَلَّ المخمِّسين توظيفاً للفظة (كَأنَّ) حيث تردَّدت عنده مرَّتين، الأولى في النقد النفسي الذي استدعاه من النص الأصلي، في قوله:

أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي اللَّيْلَ لَسْتُ عَلَى عَهْدٍ مَعَ السَّهْرِ لَا أَبْغِي بِهِ بَدَلَا
كَأَنَّنِي مَا –إِذَا حَدَّقْتُمُ المُقْلَا ظَلَمْتُ سُنَّةَ مَنْ أَحْيَا الظَّلَامَ إِلَى

أَنِ اشْتَكَتْ قَدَمَاهُ الضُّرَّ مِنْ وَرَمِ

وكذلك حين يصف آيات القرآن إذ يقول:

تَأْتِي لِأَصْحَابِهَا – فَضْلًا- مُشفِّعَةً فِيهِمْ وَتُمْنَحُهُمْ فِي الجَمْعِ أَوْسِمَةً
كَأَنَّهَا مَعْدَنُ النُّعْمَاءِ تَسْلِيَةً وَكَالصِّرَاطِ وَكَالمِيزَانِ مَعْدَلَةً

فَالقِسْطُ مِنْ غَيرِهَا لِلنَّاسِ لَمْ يَقُمِ

إن تناص التخميسات المختارة مع البردة في هذا المعجم يكمن في تكرار لفظة (كَأَنَّ) وما يُلحق بها بصورة خاصة في التخميسات، وكان تخميس مقري أشدَّ التخميسات إلحاحا على توظيفها يليه تخميس محمد بلو ثم تخميس كبير عثمان بَوتْشِي.

7- الإيلاع باستعمال لفظ "سَلْ" وما يُشتقُّ مِنْهُ

من الألفاظ التي تردَّدت في قصيدة البردة و استرعت انتباه الشعراء المخمِّسين لما تحمل من القيم الوظيفية والفنِّية، لفظ (سَلْ) الذي تكرَّر في النص الأَصلي (قصيدة البردة) أربع مرات من خلال البيتين التاليين:

127- هُمُ الجِبَالُ فَسَلْ عَنْهُمْ مُصَادِمَهُمْ مَاذَا رَأَى مِنْهُمُ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ

128- وَسَلْ حُنَيْنًا وَسَلْ بَدْراً وَسَلْ أُحُداً فُصُولَ حَتْفٍ لَهُمْ أَدْهَى مِنَ الوَخَمِ

وإن التعرض للفظة (سل) في هذا الموقف لا يعني الاهتمام بقيمتها الإنشائية بقدر ما يعني الاهتمام بأثرها في استدعاء بنية النص الأصلي عن طريق كثرة تردد اللفظ في نصوص التخميسات، فالكلمة صارت محورية في النص في ضوء قانون الباراكرام(الكلمة المحورية) حيث تشتت أصواتها طوال النص بتراكمها الحصيف الذي يثير انتباه القارئ، فقد رصد لها الباحث حوالي أربعاً وثلاثين تردُّداً في نصوص التخميسات المختارة، وكان تخميس مقري أكثرها توظيفا للفظة بعدد تردُّداتٍ تبلغ عشرين تردُّداً، يليه تخميس كبير عثمان بَوتْشِي بعدد تواترات بلغت ثماني توتُّراً، ثم تخميس أمير المؤمنين محمد بلو بستة تردُّدات، ويلاحظ في تردُّد اللفظة في التخميسات المختارة أنها أصابها شيء من التحوير بإسناد بعض الأدوات أو الضمائر إليها، أو العدول بها إلى صيغة المضارع مما وسّع مساحة معجمها بإيجادٍ مماثلات لها مثل: اسأل، لا تسل، إن تسل، فسل، سلهم وغيرها كما يظهر من خلال الشواهد التالية من تخميس مقري:

أَكْيَارُ قَلْبِكَ فِي أَيْدِي الحَبِيبِ غَدَتْ وَلَا تَسَلْ عَنْ صَنِيعِ الحَاءِ إِنْ لَحِقَتْ

بِالبَاءِ بَالًا وَخُسْرَانًا مَتَى قَنَصَتْ فكيف تنكر حبا بعدما شهدت

به عليك عدول الدمع والسقم

وَالنَّفْسُ سَارِقَةٌ لِلْمَرْءِ إِنْ لَحِظَتْ سَلْ مَنْ قَدِ ائْتَمَنُوهَا لَا إِخَالُ وَفَتْ

وَيْحِي جَرَعْتُ مِنَ الآثَامِ مَا عُظُمَتْ فإن أمارتي بالسوء ما اتعظت

من جهلها بنذير الشيب والهرم

وَيْلٌ لِمَنْ تَاهَ فِي قَعْرِ الضَّلَالِ فظنْ نَ المِصْطَفَى آخِذًا دَارَ المُرُورِ وَطَنْ

سَلِ اليَهُودِيَّ عَمَّا جَا بُعَيْدَ عَدَنْ وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من

لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

إِنْ كُنْتَ جَاهِلَهُ سَلْ تَعْلِمِ الجَبَلَيْ نِ أَنْأَنَّ الجَذْعُ مَا هَزَّ الثَّيِرَ ؟ بَلَي

فَإِنْ أَقُلْ مُطْمَئِنًّا لَا جُنَاحَ عَلَيْ مُحمّد سيد الكونين والثقلي

ن والفريقين من عرب ومن عجم

حزنا و بالنار ما بالماء من ضرم

أَمَّا النُّجُومُ تَهَاوَى وَهْيَ زَاهِيَةٌ سَلْ "أُمَّ عُثْمَانَ" عَنْ ذَا فَهْيَ شَاهِدَةٌ
كَأَنَّمَا جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ بَارِزَةٌ والجنُّ تهتف والأنوار ساطعة

والحق يظهر من معنى ومن كلم

وَقَدْ غَدَا مِثْلَ أَمْوَاتٍ عوارهم فَلَا تَسَلْ إِذْ تَوَلَّى الفور حازهم
وَلَا تَسَلْ كَيْفَ قَدْ حَارَتْ صَيَادِنُهُمْ من بعد ما أخبر الأقوام كاهنهم

بأن دينهم المعوج لم يقم

كَانُوا دُعَاةٍ إِلَى الإِسْلَامِ مَا عَلِمُوا سَلْ "هِرَقْلًا" عَنْ قُرَيشٍ حِينَ جِيْئَهُمُ
فَمَا بِهِ عُقِد الأَسْمَاعُ مُنْفَصِمُ حتى غدا عن طريق الوحي منهزم

من الشياطين يقفو إثر منهزم

وَفِي حُنَيْنٍ تَوَلَّى الشِّرْكُ مُنْهَزِمَا (أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ) قَدْ قَالَ فَاصْطَلَمَا
جَيْشُ الغَوَايَةِ، سَلْ عَنْ طَهَ يَوْمَ رُمِى نبذا به بعد تسبيح ببطنهما

نبذ المسبح في أحشاء ملتقم

وَاسْتَسْلَمُوا بَعْدَ طُولِ النُّكْرِ قَاطِبَةً لمَّا رَأَوْا آيَهُ فِي الأُفْقِ بَارِزَةً
فَسَلْ عَنِ الخَبْرِ المِشْكُوكِ شَاهِدَةً جاءت لدعوته الأشجار ساجدة

تمشي إليه على ساق بلا قدم

سَلْ صَاحِ عَنْ ظَبْيَاتِ القَاعِ إِذْ لَجَأَتْ وَفِي الخُدُودِ سُطُورُ الحُبِّ قَدْ بَرَزَتْ
حُبًّا لَهُ مِثْلَمَا الأَشْجَارُ قَدْ ذَهَبَتْ كأنما سطرت سطرا لما كتبت

فروعها من بديع الخط بالقلم

سَلْهُمْ أَخَانَا الَّذِي فِي الغَارِ قَدْ خُتِمَا عَلَى عُيُونِهِمُ حَتَّى ابْتُلُوا بِعَمَى
سَلْ إِذْ عَمُوا يَوْمَهَا:عَمّا؟ وَكَيْفَ؟ لما؟ فالصدق في الغار والصديق لم يرما

وهم يقولون ما بالغار من أرم

فَلَنْ يَشِيبَ مَدَى الدُّنْيَا الغُرَابُ بِهَا تَدُومُ دَوْمَ اكْتِشَافَاتٍ عَجَائِبُهَا
وَاسْأَلْ"حمل"آية السلطان بعد "سها" فما تعد ولا تحصى عجائبها

ولا تسام على الإكثار بالسأم

سَلِ المشَاهِدَ عَنْ أَخْبَارِ بَاغِيَةٍ أَرْدَاهُمُ الحَقُّ صَرْعَى دُوْنَمَا تِرَةٍ
كَمَا قَدْ أَوْقَعَهُمْ فِي أَلْفِ دَاهِيَةٍ يجر بحر حميس فوق سابحة

يرمي بموج من الأبطال ملتطم

قَلْبِي تَنَاهَى إِلَى أَقْصَى تَجَاهُلِهِ خَلَّى الفَرَائِضَ مَاذَا عَنْ نَوَافِلِهِ
فَلَا تَسَلْنِي عَنْ مِيدَا تَغَافُلِهِ ومن يبع آجلا منه بعاجله

يبن له الغبن في بيع وفي سلم

ومثلها في تخميس كبير عثمان بَوْتْشِي:

أَتَرْجُمِي وَعْيَ هَذَا الوَعْظَ مِنْ قِبَلِي وَأَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ الصَّبَّ كالثمل
إِنْ رِابَكَ الشكُّ فيما قُلْتُهُ فَسَلِ إِنِّي اتَّهمت نذير الشيب في عذل

والشيب أبعد في نصح عن التهم

وَلَا تَسَلْ أحداً مَا كَانَ يَلْتَزِمُ فِي مَدْحِهِ من صفاتٍ فِيهِ تَنْتَظِمُ
أَوْ مَا يُبَاحُ وَمَا فِي ذِكْرِهِ تُهَمُ دع ما ادَّعته النَّصارى في نبيِّهم

واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

البَرْقُ يَلْمَعُ وَالأَسْتَارُ كَاشِفَةٌ سَلْ أُمَّ عُثْمَانَ عَنْهَا فَهْيَ شَاهِدَةٌ
فَالأَرْضُ تَمْرَحُ وَالأَمْلَاكُ جَاهِزَةٌ والجن تهتف والأنوار ساطعة

والحق يظهر من معنى ومن كلم

فَخَاطَ فَوْقَ عيُونِ الجَيشِ خيطُ عَمِي حَتَّى غَدَا بِالحَصَى يَنْقَادُ مُنْهَزِمَا
سل المعارك عن كفَّيه حين رمى نبذا به بعد تسبيح ببطنها

نبذاً المسيح من أحشاء ملتقم

سلُ جابراً عن غصونِ وهي باعدةً كيف انحنت وتدانت وهي حاجبةً
ظلالُها لرسول الله وارفةً مثل الغمامة أني سار سائرة

تقيه حرَّ وطيس للهجير حم

وَسَلْ بني سعدٍ عن كَيْفَ شُقَّ لَهُ صدرٌ وعن عُمْرِهِ حَتَّى تحمَّله
وأيّ مَاءٍ مِن الفِرْدَوْسِ غَسَّلَهُ أقسمت بالقمر المنشق أن له

من قلبه نسبة مبرورة القسم

سَلِ الرِّماحَ العَوَالِي عَنْهُمُ مَدَدَاً كَيْفَ اكْتَوَى الشِّرْكُ بِالطَّعْنَاتِ وَاقْتَعَدَا
سَلِ الطَّرَائِقَ جَابُوا صَخْرَهَا القِدَدَا وسل حُنيناً وسل بدراً وسل أُحدا

فصول حتفٍ لهم أدهى من الوخم

ومثلها كذلك في تخميس أمير المؤمنين محمد بلو:

سَلْ قِدِّيسَا وَسَلْ يَرْمُوكَ مَا وَجَدَا سَلْ نَضِيرًا غَدَوْا مِنْ أَرْضِهِمْ بَدَدَا
سَلْ يَمَامَةَ عَنْهُمْ إِنْ تَسَلْ أَحَداً سل حُنيناً وسل بدراً وسل أُحدا

فصول حتفٍ لهم أدهى من الوخم

قَائِعُ إِنْ تَسَلْهَا عَنْهُمُ شَهِدَتْ أَنَّ رَايَاتِهِمْ بِالنَّصر قَدْ عُقِدَتْ
إِنَّ أَسْيَافَهُمْ أُمَمٌ لَهَا سَجَدَتْ لصدري البيض حمراً بعد ما وردت

من العدى كل مسود من اللمم

من خلال تأمُّل شواهد النص الأَصلي والتخميسات يدرك القارئ دور لفظة (سلْ وما يُلحقُ بها) في توجيه السرد الشعري للقصيدة، إذ اللغة الشاعرة من أهم ميزاتها الاختزال بحيث تستوعب عدداً من المعاني من خلال لفظٍ أو ألفاظٍ محدَّدة، ولهذا لم يجد الشعراء بُدًّا من تمطيط اللفظة من النص الأصلي وشحنها بركام غزير من خزائن السيرة النبوية وأحداث الدعوة وقصص الصراع بين الحق والباطل.

8- معجم الألفاظ الدينيّة (الإسلاميَّة)

هذا المعجم عبارة عن الألفاظ التي تحمل معنى إسلاميًّا مثل الصوم والصلاة وغيرها من الالفاظ التي اكتست معانٍ جديدة بعمل الإسلام ونزول القرآن، وقصيدة البردة غنية بهذا النوع من الألفاظ، ولهذا يرى بعض الباحثين أن تردُّد هذه الألفاظ بكثرة كان عاملا من أهمِّ عوامل رقة القصيدة وعذوبتها وسهولتها ويسرها، وخلوِّها من الوعورة والخشونة، وأن ألفاظها أقرب إلى الألفاظ والتراكيب القرآنية."[23]

وبعد تتبُّع الباحث لنص القصيدة استطاع انتقاء عددٍ من الألفاظ يمكن إدراجها داخل هذا المعجم منها على سبيل المثال: ألفاظ الصَّلاة، والصّوم، والفرض، والنفل، والزهد، والاستقامة، والنُّصح، والسوء، والوعظ، والجهل، والنذير، والاستقامة، والسنَّة، والضرورة، والهوى، والشفاعة، والمحارم وغيرها.

وقد استدعت التخميسات ألفاظ البوصيري بلفظها أو بمرادفها أو بتركيب يؤدي معناها، فوردت في تخميس محمد بلو الفاظٌ: النفل، والجهاد، والآثام، والوعظ، والصيام، والبرّ، والأمر والنهي، والوسيلة، والوحي، العروة الوثقى، وفي تخميس مقري تردَّدت ألفاظ مثل: الحقُّ، والآثام، وفرقان، والاستغفار، واللمم، والأمر، والنهي، والصوم، والوسيلة، والسهر، والاعتكاف، والشفاعة، والشهادة، وروح القدس، والولدان، والسهر وغيرها. وفي تخميس عثمان كبير بَوتْشِي تكررت الألفاظ الإسلامية مثل: الصوم، والتوبة، والذنب، والمعصية، والقرآن، والهداية، والميزان، والشرُّ، والبعث، والشفيع، والصلاة، والكرامة، والرسل، وغيرها من الألفاظ. وعلى هذا يمكن القول بأن التخميسات المختارة قد تناصت مع البردة من خلال هذا المعجم الشعري.

الخاتمة:

استطاع هذا المقال رصد ثمانية معاجم من النص النموذج (البردة) وتمَّ تصنيف المعاجم وترتيبها حسب كثافتها إلى: معجم ألفاظ الطبيعة، والأطلال والأعلام، وأعضاء الإنسان وما في حكمها، والدواب، والألفاظ العتيقة، والألفاظ الدينية الإسلامية، والإيلاع بلفظ(كأنَّ) ثم الإيلاع بلفظ (سل) وما يُشتقُّ منه. أما عن تناص التخميسات مع النص الأصلي من خلال المعاجم السابقة فقد توصَّل المقال إلى النتائج التالية:

1- ففي معجم الطبيعة كان تخميس محمد بلو أشدَّ التخميسات المختارة تلاحما مع النص، على الرغم من وجود فراغ كبير بين التخميسات كلِّها والنص الأصلي في توظيف ألفاظ الطبيعة، فقد سجَّل المقال تراجعا كبيراً في توظيف التخميسات لألفاظ الطبيعة بصورة عامة، وقد أرجع المقال السبب في ذلك إلى اختلاف بيئات الشعراء.

2- أما عن تناص التخميسات مع النص الأصلي في معجم الأطلال والأعلام وأعضاء الإنسان وما في حكمها فيكاد يكون متكاملابنسب متقاربة جداً، مما ينمُّ عن محافظة الشعراء المخمِّسين على التناص مع كلاسيكية القصيدة الأصلية، كما ينم عن حفاظها على النزعة الصوفية التي كان الإنسان محورها الكبير فارتفعت لديهم ألفاظ معجم الإنسان وما في حكمها.

3- سجّل المقال خرقاً تناصيا بين النص الأصلي والتخميسات المختارة في توظيف معجم الدواب، فكان شائعا في النص الأصلي وقليلاً جداً في التخميسات، وهذا أيضا من تأثير البيئة على الشعراء المخمِّسين.

4- كان التشاكل شبه متساوٍ بين النص الأصلي والتخميسات المختارة في المعاجم الأربعة الأخيرة، معجم الألفاظ العتيقة، والإيلاع بلفظ (كأنَّ) ولفظ (سَلْ) وما يُشتقُّ منه وكذلك معجم الألفاظ الإسلامية.

الحواشي والهوامش

[1] - هو أمير المؤمنين محمد بلُّو بن الشيخ عثمان بن فودي المجاهد الإسلامي بغرب أفريقيا. وُلد يوم الأربعاء في طغل في شهر ذي القعدة سنة مائة وتسعين بعد ألف هجرية، يراجع: درما، محمد الثاني خامس درما كنو (الدكتور)، إفادة الطالبين لأمير المؤمنين محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي، مسح عام وتقويم، Benchmark Publshers Limited، Aminu Kano Way، Goron Dutse، Kano-Nigeria ، 2010، ص8 بتصرف

[2] - شعيب علي دِكُّو، تخميس الشيخ شئت بن عبد الرؤوف لبردة البوصيري، دراسة تحليلية"، رسالة للماجستير، قسم اللغة العربية جامعة أحمد بللو زَارِيَا عام 2000م ص32-35

[3] - هو إبراهيم بن أحمد مقري بن سعيد بن خالد بن حمزة بن السيدة سودة(بلاريا) بنت بلُّو بن أحمد ابن الشيخ عمر الوالي زاريا. ولد في الخامس عشر من سبتمبر عام ألف وتسع مائة وست وسبعين (1976م) ولد الشاعر إبراهيم أحمد مقري في مدينة زاريا النيجيرية، - يراجع: علي، محمد: فن المديح عند الشيخ أحمد مقري، دراسة أدبية، بحث تكميلي للماجستير، مقدم إلى قسم اللغة العربية، جامعة بايرو كنو، 2008م، ص 10

[4] - هو كبير عثمان إمام، وُلد في السابع من شهر نوفمبر عام 1991م في محافظة كَتَاغُومْ ولاية بَوتْشِي النيجيرية. المرجع: السيرة الذاتية للشاعر2016، بالإضافة إلى مكالمة هاتفية أُجريت مع الشاعر في يوم الاثنين ثلاثون خلت من شهر مايو 2016، الساعة 8:44 صباحاً.

[5] - محمد مفتاح (الدكتور)، تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، مرجع سابق ص58

[6] - إبراهيم أحمد مقري (الدكتور)، الصورة الشعرية عند الشيخ إبراهيم إنياس الكولخي، مرجع سابق ص64، نقلا عن المسعودي، فاطمة بنت قنيع، الصورة الشعرية عند طاهر زمخشري.

[7] - العُذْرِيُّ نسبة إلى بَنِي عُذرَة، وهي قبيلة اشتهر رجالها بالعشق، ونساؤها بفرط العفاف. انظر: محمد يحي الحلو وغيره، البردة، شرحا وإعرابا وبلاغة لطلاب المعاهد والجامعات، دار اليروتي، الطبعة الثالثة 1426هـ 2005م ص21

[8] - هي القبيلة التي تنتمي إليها أقوام عادٍ وأحقاف كما في قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8)} (الفجر: 6 - 8)

[9] - هو الأبرهة الأشرم صاحب الفيل، "لسان العرب"مادة "شرم"

[10]- زهير بن أبي سُلْمى) ؟ - 627م). ربيعة بن رباح المزني. جاهليٌ من شعراء المعلقات، و أحد الشعراء الثلاثة الفحول المتقدمين على سائر الشعراء بالاتفاق، "الموسوعة العربية"

[11]- هو هرم بن سنان؛ الذي مدحه زهير في معلقته. "الموسوعة العربية"

[12]- وهو صوت الإلتهاب وحَدَمةُ النار بالتحريك صوت التهابها وهذا يوم مُحْتَدِمٌ ومُحْتَمِدٌ شديد الحر والإحْتِدامُ شدة الحر، لسان العرب (12/ 117)

[13]- هما موضعان بالمدينة ذكرهما الأحوص الشاعر الأموي في قوله:

يا موقد النار (بالعلياء) من إضم	أوقد فقد هجت شوقاً غير منضرم
يا موقد النار أوقدها فإن لها	سناً يهيج فؤاد العاشق السَّدِم
نارٌ يضيءُ سناها إذ تشبّ لنا	سعديّة وبها نشفي من السقم
وما طربت لشجوٍ أنتَ نائلهُ	ولا تنَوّرت تلك النار من أمَم
ليست لياليك في خاخخٍ بعائدة	كما عهدت ولا أيام ذي سلم

يراجع كتاب "النسبة إلى المواضع والبلدان، للمؤرخ العلامة جمال الدين عبدالله الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة الحميري، مكتبة المشكاة الكتروني غير موافق للمطبوع.

[14]- جو على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان، وفيها ركايا كثيرة، وماؤها شروب، واستسقاؤها ظاهر وقد أكثر الشعراء من ذكرها فمنه:

يا حبذا البرق من أكناف كاظمة	يَسعى على قَصَرات المرخ والعُشَر
لله در بيوت كان يعشقها	قلبي ويألفها إن طيبت بصري
فقدتها فَقَدَ ظمآنٍ إداوته	والقيد يَخذِف وجهَ الأرض بالشرر
أمنيةُ النفس أن تزداد ثانية	وحالنا والأماني حلوة الثمر

يراجع: معجم البلدان لياقوت الحموي باب الكاف والألف وما يليهما، المكتبة الشاملة.

[15]- هو رينيه جينو مفكر فرنسي مسلم. يراجع: علي بن نايف الشحود، موسوعة الغزو الفكري والثقافي وآثاره على المسلمين. الكتروني غير موافق للمطبوع، موقع المكتبة الشاملة على الانترنيت.

[16]- هو موريس بوكاي طبيب فرنسي أقرَّ بهذا في كتابه "الإنجيل والقرآن والعلم" وصدع به أمام الأكاديمية الفرنسية إذ قال: "لقد دهشت لما ورد في القرآن من نظريات علمية. وإنه من المستحيل أن يكتب إنسان في القرن السابع ميلادي كل هذه الحقائق المجهولة آنذاك" يراجع المرجع السابق نفسه.

[17]- أبو حامد الغزالي (الإمام)، إحياء علوم الدين، بترقيم الشاملة، موقع الشاملة على الانترنيت ص

[18]- وصفُ للإبل والخيل والبقر والغنم إذا بلغ سنا معيَّناً، راجع لسان العرب مادة (جذع)

[19]- الأينق: جمع ناقةٍ، لسان العرب، مرجع سابق، مادة (أنق)

[20]- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق الدكتور الحبيب بن الخوجة، ط5، ج1، تونس2008م ص180

[21]- محمد مفتاح (الدكتور)، تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، مرجع سابق ص62

[22]- صالح، مخيمر، المدائح النبوية بين البوصيري و الصرصري، مرجع سابق، الكتروني

[23]- صالح، مخيمر، المدائح النبوية بين البوصيري و الصرصري، مرجع سابق الكتروني